١٠ ــ التحيّز في الاتصال الجماهيري والخروج من الدائرة

أ. حسام الدين السيد

يمثل الاتصال بكافة أشكاله: الشخصي، أو الجَمعي، أو الجماهيري حجر الزاوية الذي يربط بين الأضلاع الثلاثة (جماعة الناس ـ المعاملات الاقتصادية ـ السلطة السياسية) الأساسية المكونة لأي مجتمع.

ومن ثم يعمد كل مجتمع لتكوين إطار ابستمولوجي خاص به لعمليات الاتصال بحيث تتلاءم تجريداته النظرية مع واقع هذا المجتمع وأهدافه العامة والمرحلية، على أن يكون ذلك نابعًا من إطاره القيَمي الحاكم لتوجهاته ـ على اختلاف في مفهوم القيمة من مجتمع لآخر، والبَدَهي القول بأن المعرفة في العلوم الاجتماعية ليست معرفة مطلقة متجاوزة لحدود الزمان والمكان؛ بل إن الزمان والمكان يصبغانها بفاعليتها المطلوبة منها داخل هذه الحدود. وقد ظهرت في الغرب ـ قبل الشرق ـ اتجاهات متعددة تقول بعدم ملاءمة الإطار المعرِفي لنظريات الاتصال الحالية بشكلها الغربي للتطبيق على المجتمعات الأُخرى.. منادين بالخصوصية الثقافية والمعرفية للنظريات الاتصالية. وما نتناوله هنا في هذا البحث هو:

ـ هل الإطار النظري المعرفي للاتصال ونماذجه الموجودة الآن تتناسب مع أهداف التطبيق في المجتمعات العربية؟.

ـ هل بآلياته يحقق أهدافه في مجتمعاتنا؟.

ـ هل هناك اعتبار يؤخذ للفارق بين المجتمعات الغربية والمجتمعات

العربية من ناحية انساق المعرفة وآليات العمل والقيم والعقائد؛ بل حتى التَّقْنيه ـ وكل هذه العوامل تؤثر في صياغة نماذج الاتصال؟.

وقد حاولنا في الإجابة عن هذه الأسئلة التعرف على ماهية النموذج الغربي من حيث خصائصه الأساسية المتمثلة في سيطرة الطبيعة المادية وتحويل الأشياء لبيانات قابلة للضبط والقياس وسيطرة السلطة.

ـ ثم أوضحنا التحيز في آليات العمل من عدم ملاءمة الآليات لتحقيق الأهداف إلى الاستخدام غير المناسب للتَّقْنِيه إضافة لاختلال الصورة الذهنية عن الأشياء.

ـ وانتقلنا لتوضيح آفاق المجال المتميز للاتصال العربي مثل طبيعة البناء الاجتماعي المتجانس ودوْر قادة الرأي ووجود وسائل اتصال متميزة وجديدة كخطبة الجمعة ثم أهمية إدراك فعاليات التأثير في التوجيه الاتصالي.

ـ وأخيرًا عرضنا بعضَ المحاذير التي يجب تجاوزها لنبدأ في بلورة رؤية معرِفية عربية للاتصال مثل تجاوز شعارات الأسى على الحال والتخلص من خلل الرؤية واتباع الغرب في طريقته بالإضافة إلى التخلص من التحيز في استخدام مناهج وطرق وأدوات بعينها في البحث.

السُّفِسطائيون.. ضحايا الموضوعية

سقط القناع عن الخلل الاقتصادي المتحيز وأعني به مفهوم الندرة الذي يمثل محورًا أساسيًّا للدراسات الاقتصادية ومنطلقًا لها.. واتضح أن الأمر كله لا يعدو كونه صناعة للجوع[1].

نحن الآن في حاجة لشيء من هذا القبيل أعني إسقاط القناع عن خرافة الموضوعية التي يدعيها دائمًا البحث العلمي ـ غربي المنهج والطريقة والأداة والمجال فضلاً عن التجريدات والتعميمات ـ لأنها باختصار صناعة التَّبعية.

---

(١) انظر: أحمد حسان عبد الواحد (ترجمة): صناعة الجوع (خرافة الندرة)، **سلسلة عالم المعرفة** ـ (رقم ٦٤) ـ الكويت: ١٩٨٣.

فهذه الموضوعية عوراء ترى بعين واحدة ـ عين الغرب طبعًا ـ وهي فوق ذلك صماء صممًا تامًّا، ولكنها ثرثارة إلى أقصى حد لا تكف عن التغزل في محاسنها رغم عوراتها الظاهرة لكل ذي عينين.

ويكفي للتدليل على هذا الخلل أن كل النقائص ما زالت تُنسب لإلياس الصِّقلي زعيم السُّفسطائيين ولجماعته رغم أنهم كانوا يتبعون نهجًا فلسفيًّا شديد التجرد والموضوعية فينخلع الواحد منهم من رأيه تجاه أي ظاهرة أو موضوع ما ويُقنع من يشاء بما يريد دون أدنى تدخل لرأي السُّفسطائي نفسه، فكانوا هم أول ضحايا الموضوعية.. يُلعنون إلى اليوم!!

ومن ثَم لا أجد حرجًا في إعلان تحيزي من البداية وهو تحيز إسلامي عربي، فهذه هي الموضوعية الوحيدة التي استطيعها وهذا التحيز إسلامي بحكم العقيدة والثقافة والانتماء والتشكيل الحضاري، وعربي بحكم الإقليم واللغة والتنشئة الاجتماعية.

والتجرد من كل هذا لا يُبقي إلا مجموعة من الوظائف الحيويَّة محمولة على هيكل عظمي.. فهل يوجد إنسان ـ عندئذ ـ موضوعيًّا من عدمه؟! وهل اتضح الآن لماذا يكون هذا التحيز هو الموضوعية الوحيدة الممكنة؟

ماهية النموذج الغربي للاتصال

ورغم غرابة هذه التوطئة للدخول في مجال الحديث الذي نحن بصدده إلا أن محاولة الخروج من قمقم التحيز الغربي يتطلب في أحيان كثيرة انطلاق السَّجية حتى وإن كنا بصدد حديث علمي.

فربما دلنا هذا على ضالتنا المنشودة من رؤية معرفية خاصة بمجتمعاتنا غير متحيزة للغرب تجلو صدأ التصور، ورداءة النقل، وسذاجة التطبيق، وبالتالي تشوه المجتمع.. وتخلخل النظم.. وتزلزل البناء من أساسه.. فهل يدرك أحد حجم الكارثة؟! ومع أننا لا نطمح في كثير لأن ما نطمح إليه هذا هو مطلب البقاء، إلا أن الأمر جِد عسير لعدم وضوح أي رؤية معرفية في المجتمعات العربية؛ بل حتى الرؤية المعرفية الغربية

نفسها غير واضحة عند الناقلين المطبقين لها، أو عند أكثرهم على الأقل.

وننطلق من هذه الأخيرة لنقول ـ دون الدخول في تعقيدات تجريدية ـ إن النموذج المعرفي للاتصال الغربي يتميز بثلاث خصائص أساسية هي:

١ ـ سيطرة الطبيعة المادية على الاتصال.

٢ ـ تحول كل خطوات الاتصال ومراحله إلى بيانات كَمِّية Quantitative Data قابلة للضبط والقياس.

٣ ـ سيطرة السلطة الحاكمة Authority وقوة الصفوة Power Elite على أجهزة الاتصال والتحكم في الرسائل المبثوثة للجمهور.

من خلال هذه الخصائص الثلاث يتم التحكم في العملية الاتصالية وصياغتها وتوجيهها على النحو الذي يراد لها أن تكون عليه من عمليات التشكيل الثقافي للمجتمع وصناعة الرأي العام وإيجاد النظم وحلّها وقت الحاجة، إلى آخر هذه العمليات التي تجعل المجتمعات العربية دائمًا في المحيط، تابعة للمركز الذي تتربع فيه المجتمعات الغربية لأنها صاحبة رؤية ونموذج تعرف ما تريد، والآخرون لا يعرفون.. ولذلك سنحاول توضيح هذه العناصر وفهم النموذج الغربي لندرك موقعنا من التحيز إليه ضد ذاتنا.

التليفون.. الدادة

المهم أن يتحقق الإشباع.. ولا يهم كيف؟ هذا هو ما يعكسه النموذج الغربي من خلال سيطرة الطبيعة المادية عليه في الاتصال ويتضح ذلك بمثال نذكره:

نشرت إحدى الصحف المصرية (**جريدة الأخبار**) خبرًا مفاده «أنه سيتم الاستغناء عن الدادة (جليسة الأطفال) في الولايات المتحدة بعد ابتكار جهاز جديد يتم توصيله بالتليفون ويستطيع الوالدان الاطمئنان على طفلهما بالاتصال التليفوني فيخبرهما الجهاز عن الحالة وهما يقضيان سهرتهما في الخارج». وبالطبع كان نشر هذا الخبر باعتباره تقدمًا تكنولوجيًا جديرًا بأن نحذو حُذوه ونقلده. وهذا الانبهار ـ الساذج ـ هو

المتكرر دائمًا في تقليد النموذج الغربي في الاتصال سواء الشخصي أو الجماهيري.

ومجتمع المادة الغربي الذي يتسم بشيوع روح الفردية، من الممكن أن يتفهم هذا الخبر فقد أصبح انتقال وظائف الأُسْرة إلى غيرها من المؤسسات أمرًا منطقيًا خِلال هذه المنظومة المعرفية. وبالتالي فاستبدال جليسة الأطفال بجهاز الكتروني لن يُحدث خللاً أو على الأقل هو متوافق مع هذه الرؤية الغربية.

فلم تكن جليسة الأطفال سوى جهاز اتصال شخصي ولكنه آدمي - من حيث الشكل فقط لا من حيث الوظيفة - فإذا انتقلت هذه الوظيفة إلى جهاز اتصال شخصي آخر ولكنه الكتروني مثل التليفون سيكون هذا أكثر توافقًا مع الرؤية الغربية للاتصال - من حيث الشكل والوظيفة معًا. ومن هنا يمكن فهم هذا باعتباره تقدمًا لأنه يحقق اتزانًا سيكولوجيًا اتصاليًا يتناسب مع المجال المعرفي للعقل الغربي الذي تعنيه المادة وتحقيق الإشباع بالاطمئنان على الطفل كوظيفة آلية وليست عاطفة يمكن فهمها بالمنظور الغربي للعلاقة الاتصالية بين الآباء والأطفال كصورة للاتصال الشخصي عالي التأثير والفعالية!

فيكون اتباع هذا النموذج في المجتمعات العربية تحيزًا لا يُحدث اتزانًا كحالة الغربي ولكنه يُحدث العكس تمامًا حالة عدم اتزان كاملة لاختلاف الرؤية والدافع.

المعرفة توازن الاعتقاد

ينقلنا هذا الحديث عن الاتزان لمناقشة النماذج التجريدية للاتصال غربية الأصل، والتي يتم تعميمها في كل المجتمعات على أنها تجريدات نظرية محايدة. ولأن الاتصال الجماهيري علم حديث النشأة، فليس هناك نظرية للاتصال بالمفهوم العلمي الشائع لمعنى النظرية، ولكن هناك مداخل واتجاهات نظرية تعتمد على بلورة نماذج تجريدية تُشرح بها الأبعاد الداخلة في عملية الاتصال الجماهيري Mass Communication Process، ويتم نقل

هذه النماذج ـ الحاكمة ـ وتدريسها لطلبة كليات ومعاهد الإعلام والاتصال للعاملين والباحثين في مجالات الاتصال الجماهيري في المجتمعات العربية. فهل حقيقةً تصلح هذه النماذج للدراسة في مجتمعاتنا؟ أم أن الأمر غير ذلك؟ بحيث أن هذه النماذج تخرج من واقع يعتمد على تعميم أمبيريقي empirical generalization يختلف عن واقع المجتمعات العربية. وتعكس هذه النماذج الخاصِّية الثانية في الرؤية الغربية للاتصال تلك المتعلقة بتحويل كل الأشياء المتعلقة بالاتصال والعملية الاتصالية إلى بيانات كَمِّية قابلة للقياس والتحكم والسيطرة حتى وإن كانت انفعالات نفسية أو عاطفية.

فهذه النماذج تنقسم إلى فئتين رئيسيتين: نماذج تفسيرية ونماذج وصفية؛ الأُولى تفسر عملية الاتصال، والثانية تصف حدوث هذه العملية.

والنماذج التفسيرية تتناول الاتصال من خلال مفهوم الاتفاق ومفهوم التوازن فإذا حدث اتفاق بين ما يعتقده الشخص وبين ما يعرفه أثناء الاتصال عن شيء ما ففي هذه الحالة يتحقق التوازن، وإذا حدث اختلاف أو عدم اتفاق بين ما يتلقاه الشخص عن شيء أو موضوع ما أثناء الاتصال وبين اعتقاده عن هذا الشيء فإن حالة الاتزان تختل، ومن ثَم يعمَد الشخص إلى تعديل اعتقاده عن هذا الشيء أو نسق معرفته عن نفس الشيء ـ هكذا على وجه السواء ـ ليعود إلى حالة الاتزان التي من المفترض أن يحققها الاتصال.

مثال ذلك: إنني لو كنت أعتقد أن الشخص الفاضل هو الذي يطيع أوامر الله ويصلي بانتظام، ثم أحببت فتاة، وكنتيجة للاتصال اكتشفت أنها لا تطيع الله ولا تصلي، فهنا تحدث حالة عدم الاتفاق وبالتالي يختل التوازن ويكون لزامًا عليَّ حتى أعيد التوازن إما أن أغير اعتقادي عن الشخص الفاضل أو أغير معلوماتي عن فتاتي. وبالطبع ـ في الرؤية الغربية ـ فإن الأخيرة حال واقع يصعب تغييره فيكون تغيير الاعتقاد أسهل. أرأيت؟!

أي باختصار إذا كنت أحب «الملوخية» وكانت زوجتي لا تحبها فإما

أن أغير رأيي وأكره الملوخية. أو أن تحبها زوجتي. أو أطلقها (والعياذ بالله) حتى يتحقق التوازن!! وهكذا يتم تحويل العملية الاتصالية كلها إلى مادة خاضعة للسيطرة. وهذا الفهم يبدو فكاهِياً بعض الشيء في نظرتنا ولكنه أبدًا ليس كذلك في المنظومة الغربية؛ بل على العكس هو يحقق بالفعل توازنًا لهم. وما نقوله هنا عن الاتصال الشخصي ينسحب أيضًا على الاتصال الجماهيري وأجهزته (صحافة ـ راديو ـ تليفزيون).

ولكن الشيء العجيب حقيقة هو تعميم هذه المعارف والنماذج التي لا تتلاءم إلا مع البيئة التي خرجت منها، ولا تتلاءم مع مجتمعاتنا التي لها ثقافة مميزة تجعل هذه النماذج محققة لعدم توازن معرفي.

وفي الفئة الثانية من النماذج (الوصفية) تزداد وضوحًا الخاصية الغربية في الضبط والسيطرة. فأشهر هذه النماذج وأكثرها حيادية وموضوعية ـ كما يزعُمون ـ هو نموذج «النظرية الرياضية للمعلومات». The Mathematical Theory of Information. الذي يحول العمليّة الاتصالية كلها إلى علاقات كَمية. فمصدر المعلومات هو القائم بالاتصال، يضع الرسالة في كود (الكلمات مثلاً)، ثم يرسلها عن طريق جهاز إرسال (الصوت)، فيستقبلها عند المتلقّي جهاز استقبال (الأذن مثلاً)، ويفك شفرة الرسالة حتى تصل إلى هدفها. وخلال هذه الرحلة تتعرض الرسالة إلى بعض عمليات التشويش Noise التي يتم التغلب عليها بأشكال آلية.

ويبدو في هذا النموذج الاهتمام الشديد بالسيطرة الكَمية والرقمية على عملية الاتصال. وهذا أيضًا يتلاءم مع الرؤية الغربية، ولكن لا يتلاءم إطلاقًا مع مفهوم الاتصال في مجتمع عربي حيث تتداخل عوامل كثيرة في التأثير على العملية الاتصالية.

السلطة.. تتحكم

في تحليل عمل وسائل الاتصال الجماهيري Mass Media هناك أربعة مداخل نظرية في النموذج الغربي تشرح آلية العمل. هذه المداخل الأربعة على اختلافها تُظهر طبيعة سيطرة السلطة وقوة الصفوة على الوسائل

لتسخيرها كيفما شاءت وهذه المداخل هي:

١ ـ **السلطة**: وتتناول عمل وسائل الاتصال باعتبارها أدوات تمتلكها السلطة الحاكمة وتسعى عن طريقها للسيطرة على الرأي العام وعقول الأفراد عن طريق التحكم في الرسالة. وهو مدخل يتبنى صراحة تحكُّم السلطة في الاتصال.

٢ ـ **الاشتراكية**: ويزعم أصحابه أن طريقة العمل الاشتراكية لوسائل الاتصال تقوم على امتلاك السلطة الاشتراكية (الحزب المركزي) للوسائل والتحكم في الرسالة لتنمية الوعي الاشتراكي عند الجمهور.

٣ ـ **اللِّيبرالية**: وهي عكس ما سبق حيث تطلق حرية امتلاك الوسائل وبث الرسائل وعلى الجمهور أن يتلقى ما يريد وقتما يشاء اعتمادًا على أن الجمهور يتعرض لما يناسب إطاره المعرفي فقط باعتبار أن عملية الاتصال في مجملها عملية انتقائية Selective وإن كان واقع الحال أن الصفوة هي التي تسيطر على الوسائل والأجهزة وبالتالي تتحكم في الاتصال لصالحها باتفاق معلَن أو غير معلن مع السلطة.

٤ ـ **المسؤولية الاجتماعية**: هي محاولة للتوفيق بين كل ما سبق فتعتمد على ليبرالية في التدفق الحر للرسائل وحرية امتلاك وسائل الاتصال مع الوضع في الاعتبار المسؤولية الاجتماعية للقائم بالاتصال حيث يمارسها في بثه للرسالة فلا ينقل إلا ما هو مفيد للمجتمع ويبتعد عن إرسال رسائل تحمل مضمونًا ضارًا بدعوى الحرية والليبرالية.

ولسنا في حاجة إلى كثير من العناء لتوضيح السيطرة البراجماتية من قِبَل السلطة في هذه النماذج والمداخل النظرية، التي يتم تعميمها على أنها تجريدات موضوعية تسير عليها آليات الاتصال الجماهيري في كل المجتمعات على حد سواء.

وسيطرة السلطة الحاكمة على عملية الاتصال الجماهيري خاصية تميز النموذج الغربي، ويحاول تعميمها ونتحيز نحن لها بوعي أو بدون وعي، قد تكون واضحة في النظم الشمولية والاشتراكية (سابقًا) حيث الأجهزة

مملوكة للدولة والرسائل التي تُنقل تخضع لرقابة شديدة.

ولكن الأمر في المجتمعات الليبرالية ـ كما يزعُمون ـ ليس أحسن حالاً. ولم يكن الحظر الذي تم فرضه على المراسلين الصحفيين إبان حرب الخليج الأخيرة إلا إسفارًا عن هذا الجانب بوضوح، بل إن الصفوة أيضًا مارست سيطرتها من خلال وسائل الاتصال التي تملكها لتزييف الرأي العام وتغييب الوعي، مما يساعد على تشكيل صورة ذهنية Image جيدة مغيِّرة للحقيقة. ولكن هل يعي الناقلون العرب ذلك؟ وهل يدركون تحيزات النموذج الغربي؟

بل العجيب أن تحيزات النموذج الغربي ليست فقط ضد الآخرين، ولكنها إضافة لذلك تحيزات ضد ذات النموذج نفسه، حيث يتم صياغة تجريدات النموذج الغربي بشكل علمي محايد ولكن عند التطبيق تختلف التطبيقات عن تجريدات النموذج؛ بل من الممكن أن يتعارض التطبيق والتجريد ويتناقضا مادامت المصلحة والنفعية تتطلب ذلك فليس هناك مطلب في النموذج الغربي للتمسك بتجريدات النموذج النظرية. وهو بذلك يستغل حالة الفردية واللامعيارية (الأنومي) المسيطرة على المجتمعات الغربية. ورغم هذا يبقى الأمر داخل المنظومة الغربية مفهومًا واضحًا.. ويحقق لهم إشباعًا ما، ولكنه غير مفهوم إطلاقًا في المجتمعات العربية ذات الإطار المعرفي المتميز ـ أو هذا هو المفترض ـ والمغاير تمامًا للإطار المعرفي الغربي، الذي يحكم النسق الاتصالي كله في وسائله ورسائله وجمهوره على السواء.

تحيز آليات العمل

كان من آثار التحيز للنموذج الغربي في الاتصال الجماهيري حدوث خلل آخر في التطبيق العربي للنموذج الغربي يضاف إلى خلل الرؤية المعرفية. وأعني بذلك الخلل الآخر الفجوة التي نتجت عن التحيز في آليات العمل أيضًا.

ففي حين يحرص النموذج الغربي على اختيار الوسيلة المناسبة

والرسالة المناسبة لطبيعة الجمهور مما يحقق له أهدافه المتناغمة مع نموذجه المعرفي الخاص. نجد في المقابل تباعدًا بين أهداف الرسالة وآثار التطبيق في الاتصال العربي نتيجة لخلل آليات العملية الاتصالية والتباعُد بين القائم بالاتصال (المرسِل) وبين (الجمهور) المستهدَف، فضلاً عن سوء اختيار واستخدام الوسيلة وعدم مراعاتها لفعاليات التأثير الحقيقية عند الجمهور وعدم ملاءمة الرسالة لثقافة الجمهور.

١ ـ في النموذج الغربي نفسه تجد حرصًا على هذه الملاءمة للآليات الاتصالية حتى يحقق الاتصال هدفه في المجتمع فهناك رؤية ليبرالية وأُخرى اشتراكية ورغم انتمائها لنفس النموذج المعرفي ـ تقريبًا ـ إلا أنك تلحظ بسهولة الفارق في آليات التطبيق ليتم تطويع النموذج لطبيعة المجتمع وثقافته الفرعية الخاصة.

ففي الرؤية الليبرالية وسائل الاتصال الجماهيري تحظى بأهمية كبيرة ودور مؤثر. والتعامل بين السلطة والجمهور يتم عن طريقها. كما أن طبيعة الرسائل المبثوثة من خلال هذه الوسائل الجماهيرية تؤكد خصائص هذه المجتمعات من روح فردية وسيطرة مادية فتكون صياغة الرسالة تبدو وكأنها تخاطب كل فرد بذاته فقط. ويتم مراعاة تشكيل الوعي الاجتماعي والرأي العام والتنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي فضلاً عن تغيير أو تعديل أو تحييد الآراء والاتجاهات، كل ذلك باستخدام وسائل الاتصال الجماهيرية من إذاعة وتليفزيون وصحافة وسينما بشكل أكبر بكثير جدًّا من الاعتماد على وسائل اتصال جمعي أو شخصي. حيث أن طبيعة المجتمع تتطلب ذلك.

أما في المجتمعات الاشتراكية (السابقة) فإن آليات العمل تكتسب مرونة لتحقق الرسالة أهدافها. فرغم سيطرة الدولة على جميع وسائل الاتصال الجماهيري تقريبًا إلا أن المرتكَز الحقيقي في آليات العملية الاتصالية يكون للاتصال الجمعي وذلك باعتبار أن المجتمع الاشتراكي هو مجموعة من جماعات العمل التي تنتظم في بناء عضوي هدفه تحقيق العدالة الاجتماعية فتنتشر لذلك في المجتمع حلقات الاستماع الجماعي.. والمِذْياع

السلكي وحملات التوجيه عن طريق جماعات خاصة يرسلها الحزب إلى كل منطقة أو مجتمع محلي Community لبث الفكر الاشتراكي وتشكيل الوعي الاجتماعي والرأي العام على نحو بعينه مخطَّط من قبَل الحكومة المركزية. وربما يكون هذا الحرص على وسائل الاتصال الجمعي لصهر المجتمع في بوتقة جماعات العمل الاشتراكية أحد العوامل الأساسية في ازدهار المسرح في روسيا باعتباره وسيلة اتصال جمعية وأيضًا تفوق الباليه الروسي (البُلْشوى على سبيل المثال) باعتبار أنه وسيلة ترفيه، وفي نفس الوقت أداة جيدة لتوصيل رسائل بعينها متناسبة مع طبيعة المجتمع.

فحتى الترفيه كوظيفة من وظائف الاتصال يتم صياغته بشكل يتناسب مع طبيعة المجتمع وثقافته الفرعية.

وعلى هذا النحو يسير الاتصال في تلك المجتمعات وتتحول وسائل الاتصال الجماهيري إلى مجرد قنوات إعلام تنقل المعلومات والبيانات الرسمية وتتولى بعد ذلك الإذاعة السلكية نقلها للجمهور في جلسات استماع جماعية ويدور حولها النقاش لتعميق أثر الرسالة.

وهكذا تتناغم آليات العمل في عمليات الاتصال الجماهيري لتلائم طبيعة الجمهور والثقافة الفرعية للمجتمع ولتحقق أهداف الاتصال التي يُراد تحقيقها من خلال النموذج المعرفي الخاص بها والمتميز عن أي نموذج آخر.

٢ ـ هل كانت التقْنِية في النموذج الروسي متأخرة؟ ومن ثَم فقد عمد إلى هذه الآليات الاتصالية ولم يستخدم ما هو أحدث بشكل واسع.. بالطبع لا، الأمر ليس كذلك ولكن هناك مفهومًا اتصاليًا نتناساه عند النقل من النموذج الغربي وهو الملاءمة الفنِّيَة.. وللحق فليس العيب كله علينا في هذا الأمر بل يتحمل الغرب شيئًا منه. فهناك دول مثلاً دخلها إرسال التليڤزيون الملون قبل إرسال الأبيض والأسود رغم عدم ملاءمة هذا لها، إلا أن المصانع كانت قد توقفت عن إنتاج أجهزة الأبيض والأسود لأنها مصانع غربية لن تُلقي بالاً لغيرها، فلم يكن هناك بُدٌّ من استخدام الإرسال الملون.

ولكن الأمر ليس على هذا الحال دائمًا ولنوضحه نسوق هذا المثال: في إحدى القرى المنعزلة التي لم تشاهد سينما أو تليفزيون من قبل قام أحد الباحثين بعرض فيلم سينمائي قصير وسط انبهار المشاهدين. وبعد انتهائه ظلوا يصفقون بحماس شديد تعبيرًا عن إعجابهم بهذا الكائن الجديد. فقام الباحث بعرض نفس الفيلم مرة ثانية ولكن من النهائية للبداية (بالمقلوب)، وبعد انتهائه صفق الجمهور بنفس الحماس! لأن الوسيلة الفَنِّية في حد ذاتها تلعب دورًا في عملية الاتصال.

شيء مثل هذا الذي حدث للقرية المنعزلة حدث في المجتمعات العربية عندما تم تقليد النموذج الغربي بدون وعي، فأصبح معيارًا للتقدم أن تملك جهاز تليفزيون وفيديو وأصبح انتشار هذه الأجهزة دون استيعابها ثقافيًا وإدراك الدور المناسب لها في البناء الاجتماعي للمجتمع العربي يُحسب كنتيجة سلبية لا إيجابية حيث صاحب هذا الانتشار ظهور خلل في النسق القيَمي وتغيُّر في الاتجاهات بل نقص معدلات العمل والإنتاج، فالفلاح يسهر مع الأجهزة منبهرًا ولا يستيقظ مبكرًا للعمل.. في حين أنه كان من الممكن استيعاب الأجهزة ووسائل الاتصال الحديث هذه داخل البناء الثقافي للمجتمع تدريجيًا مع تطوير لأنماط الاتصال الحيوية المميِّزة للمجتمع العربي فتكون النتائج أكثر إيجابية وتحسب على أنها تقدم حقيقي.

٣ ـ هناك مؤشر أخير نتناوله في اختلال آليات العمل نتيجة تقليد الغربي، ذلك المتعلق بتكوين الصورة الذهنية باعتبارها عنصرًا حيويًا في العملية الاتصالية يتوقف عليه استجابة المتلقي (أو الجمهور) للرسالة ولا يتضح أثر الرسالة المبثوثة عبر أجهزة الاتصال إلا على ضوء تكوُّن الصورة الذهنية عن موضوع الرسالة.

ومن ثَم يكون الاهتمام بتثبيت الصورة الذهنية عن أي شيء وتكوينها بشكل صحيح مناسب أحد المحاور الأساسية لعملية الاتصال.

ورغم الليبرالية الغربية وتناول جميع المعلومات والقضايا على الملأ بدءًا من مقاس حذاء الأميرة ديانا إلى أزرار التحكم في الرؤوس النووية بالبيت الأبيض إلا إن الحرص على ثبات الصورة الذهنية تجده ملحوظًا في

النموذج الغربي لأنه يملك رؤية خاصة تمنع هذا الخلل فقلما تجد تضاربًا يؤثر على اختلال هذه الصورة الذهنية عند الجمهور في آليات عمل الأجهزة الاتصالية.

ولكن في المجتمعات العربية نتيجة اعتمادها على نموذج متحيز للغرب ضد الذات ولعدم وضوح الرؤية تجد خللاً لا يشوه الصورة الذهنية فقط بل ينسِفها في أحيان كثيرة. ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتوضيح هذا الخلل وهي أكثر من أن تحصى؛ بل متكررة بشكل مستمر يكاد يكون هو الأصل حتى فقدت الأجهزة مصداقياتها. وسنكتفي بذكر بعضها فقط دون تعليق فهي تفي بالغرض وزيادة.

ـ في يوم عيد الشرطة خرجت مذيعة الرَّبط في التليڤزيون على الجمهور لتقول إنه بمناسبة عيد الشرطة فسنذيع عليكم الآن فيلم «أمير الانتقام». ويأتي الفيلم ليفاجأ الجمهور أن موضوعه هو رئيس الشرطة المستبد الذي يحبس الناس ظلمًا. وأن هناك بطلاً شعبيًّا يسعى للخلاص منه وبالفعل ينجح في ذلك.

ـ في احتفال يذيعه التليڤزيون بمناسبة مرور عدة سنوات على افتتاحه يظهر وزير الإعلام في صدر القاعة وأمامه تورتة كبيرة على شكل مبنى التليفزيون وفجأة يمسك الوزير بسيف كبير وينهال على التورتة تقطيعًا!! ليبدأ الاحتفال.. بنهاية الرمز (التورتة) ويصبح الوزير هو الذي يهدم هذا الرمز.

ـ في يوم أحداث الأمن المركزي وبعد انتشار صورة التخريب في القاهرة وتوقُّف الحياة بها ينقل التليفزيون صورة حية لآثار الدمار ثم قام بعرض فيلم «يوم سعيد»!.

ـ وبعد إلقاء وزير الداخلية لبيان هام ينقله التليفزيون ما إن انتهى الوزير من إلقاء بيانه حتى تبِعه في التو إعلان أول جملة فيه «انتهى الدرس ياغبي».

ـ بعد أن قام التليفزيون بنقل عودة رئيس الجمهورية من رحلة هامة

بالخارج أعلنت المذيعة عن «عودة الزوج الغائب» وهو فيلم السهرة.

ـ وحتى لا يكون التليڤزيون وحده صاحب هذا الخلل فنشير بسرعة إلى السِّروال المتدلي للزعيم العربي الذي ظل يتصدر كاريكاتير الصفحة الأخيرة لجريدة الأخبار لسنوات.. ثم أصبح بعد ذلك الأخ.. قائد الثورة.

ـ ولا ننسى الزعيم والقائد حارس البوابة الشرقية وصورِه مع أخباره في صدر الصفحات الأولى للجرائد.. ثم أصبح الطاغية السفاح.

ـ وتكفي هذه الأمثلة للتدليل على خلل الرؤية الناتج عن التحيز للنموذج الغربي وغياب نموذج عربي يحكم عمليات الاتصال الجماهيري في مجتمعاتنا.

المجال المتميز للاتصال العربي

كيف يمكن الخروج من دائرة التحيز الغربي هذه؟ هذا هو السؤال الذي يفرض نفسه بالضرورة والإجابة عنه ليست عسيرة أيضًا. بالطبع تشكيل وصياغة نموذج معرفي للاتصال العربي أمر لن يولد في يوم وليلة ولكن ينبغي أن نضع أيدينا على بعض العلامات الواضحة والقواعد التي يمكن أن ننطلق منها وهي التي تشكل المجال المتميز للاتصال العربي، هذه القواعد يمكن أن نذكر منها أهمها على النحو التالي:

١ ـ طبيعة البناء الاجتماعي هو أول ما يجب إدراكه وتفهمه جيدًا حتى يمكن أن تكون رؤية متناغمة معه، وكما ذكرنا فإن النموذج الغربي يدرك جيدًا طبيعة البناء الاجتماعي الغربي ويعمل الاتصال على أساسها.

فالفرد يتشكل في هذا البناء وتحكمه منظومة معرفية تتميز من مجتمع لآخر ومن ثَم تكون صياغة التصورات والآراء في داخل هذا الإطار. ويمكن القول في تعميم غير مخل إن البناء الاجتماعي العربي يتميز بالتجانس فرغم تعدد الثقافات الفرعية وتراكمها على مر التاريخ إلا أن الثقافة العامة للمجتمع العربي ككل متجانسة مما يُتيح تدفقًا يسيرًا للاتصال

ويفتح الآفاق أمام أشكال أُخرى غير الاتصال الجماهيري مثل الاتصال الجمعي والاتصال الشخصي.

فمجتمع مثل المجتمع المصري هو نتاج لثقافات فرعونية وإسلامية وقِبْطِيَّة وعربية ومع ذلك لا تجد تناقضًا ظاهرًا، بل إن هذا المزيج ينصهر في بوتقة واحدة تنتج ثقافة متميزة تتميز بالمرونة والثبات في آن واحد.

ويمكن إرجاع هذا التجانس إلى عامل الدين والتَّسَامُح الذي يشكل رِباطًا قيميًّا قويًا يجعل المجتمع وطبيعته الاتصالية غير متميزة بالطبيعة المادية المسيطرة على النموذج الغربي، بل يُكسبه طبيعة تتميز بآفاق أوسع ورؤية أعمق مع تأثير أشد. فإذا أضفنا إلى ذلك اللغة كعامل آخر يصبح الناتج شديد التميز عن النموذج الغربي ليس لأن اللغة العربية تختلف عن اللغات الأُخرى من ناحية الهجاء والتراكيب اللغوية فقط بل أيضًا لتدخلها بوضوح في التواصلِ الاجتماعي للمجتمعات العربية كلها وتعد عامل ربط جيد جدًّا بين الأبنية الاجتماعية المختلفة في الدول العربية. إضافة إلى تأثيرها كأداة اتصال حيث أن العرب على وجه العموم يتأثرون باللغة وجمالياتها مما يضفي على الاتصال دفئًا مفتقدًا في النموذج الغربي. يساعد هذا الدفء على عمق التأثير للرسالة الاتصالية إذا تمت صياغتها داخل هذا الإطار الدلالي المتميز. وميزة أخيرة للغة العربية هي ارتباطها بالمقدس حيث أنها لغة القرآن مما يكسبها أيضًا إضافة مُفتقدة ـ كأداة اتصال ـ في النموذج الغربي.

بقي من العوامل الأساسية للتجانس الذي يتميز به البناء الاجتماعي العربي عامل الضبط الاجتماعي حيث يكتسب فعالية كبيرة في المجتمع العربي ويعوَّل عليه كعنصر اتّزان أساسي للمجتمع؛ بل إن الكثيرين قد لا يفعلون المنكرات علانية خوفًا من الضبط الاجتماعي ويفعلونها سرًّا حتى لو كانت مخالفة لتعاليم الدين.. ومن هنا يكتسب الضبط الاجتماعي أهميته ربما أكثر من الضبط الرسمي أحيانًا فما أسهل مخالفة القانون. ولكن يصعب الخروج على المألوف الاجتماعي ومخالفة الأعراف والتقاليد في المجتمع العربي الذي يصبَغ كل هذا بلون من القداسة يُكسبه تأثيرًا كبيرًا،

ومن ثَم يُعَول على هذا التميز للضبط الاجتماعي في صناعة الرأي العام وتشكيل الوعي الجماهيري؛ بل تغيير الآراء والاتجاهات أيضًا. وبالطبع يفتقد النموذج الغربي مثل هذا العامل المهم. وليست هذه هي كل العوامل المميِّزة للبناء الاجتماعي في المجتمع العربي ولكنها أبرزها وأصْلَحها ـ من وجهة النظر الاتصالية ـ التي تصلح للبدء في تناول النموذج العربي للاتصال.

٢ ـ رغم وجود قادة للرأي Opinion Leaders في النموذج الغربي إلا أن الطبيعة الفردية المسيطرة على المجتمع تجعل التغير في تتبع قائد الرأي سريعًا ومتقلبًا من حال إلى حال.

أما في البناء الاجتماعي العربي فيحتل قادة الرأي مكانًا متميزًا تجعل طاعتهم ومتابعة آرائهم واتجاهاتهم عنصرًا موجِّهًا لتشكيل الوعي الاجتماعي وتكوين رأي عام حول قضية من القضايا أو موضوع مطروح.

ورغم تباين قائد الرأي من بقال القرية إلى الزعيم السياسي أو الديني إلا أن الجماهير في أغلب الأحوال تُضفي عليه صفات تأثيرية حتى إن لم يكن كذلك بالفعل. فيكسبه هذا قدرة على التأثير في الجماهير ونقل الآراء والقناعات المختلفة، وقد يتم تناقل أقواله على أنها حقائق ومسلمات مما يفتح مجالاً متميزًا للاتصال الشخصي يفتقده النموذج الغربي.

وعلى سبيل المثال لو أن قيادة متميزة للرأي ظهر صاحِبُها وانتشر بين الناس، وتحدث عن الذرة رغم أنه لا يعرف شيئًا عنها مطلقًا فإن هذا الحديث سيكون أوثق عند العامة من الجمهور من كل النظريات العلمية التي تخالف هذا الكلام؛ بل سيتم تأويل هذه النظريات لتتفق مع كلام هذا القائد وليس العكس هذا هو الذي سيحدث. وتُعد هذه إحدى السمات الأساسية للبناء الاجتماعي العَرَبي وعنصرًا من عناصر تجانسه أيضًا وإن كانت تنفرد بوجودها كظاهرة مستقلة.

٣ ـ ومن أهم ما يميز المجال الاتصالي العربي وجود وسائل اتصال غير متكررة بهذه القدرة على التأثير في أي مجتمع آخر ما عدا المجتمع العربي ومنها مثلاً أنَّ خطبة الجمعة كوسيلة للاتصال الجمعي لها قدرة على

التأثير وتغيير الآراء والمعتقدات والاتجاهات لا تضاهيها أي وسيلة اتصال أُخرى.

لأنها فضلاً عن هالات القداسة التي تحيطها باعتبارها شعيرة دينية، وفرضها يجب تأديته بحرص وانتظام. بها قدْر كبير من مشاركة الجمهور وتفاعلهم في العملية الاتصالية على اعتبار أنه يذهب لتلقي الخطبة وهو مهيأ نفسيًا وذهنيًا بل وبدنيًا أيضًا لتلقي توجيه يعلم أنه واجب التنفيذ. ويفتقد النموذج الغربي هذه الوسيلة فالشعائر الدينية عنده هي طُقوس منفصلة إلى حد كبير عن الواقع الاجتماعي، بعكس خطبة الجمعة التي تؤثر في تشكيل الحياة اليومية والمعاملات الشخصية، ومن ثم الوعي الاجتماعي والرأي العام، بمنتهى القوة ـ لو أُحسن استخدامها ـ والعمق والتأثير الذي يصعب تغييره، حيث ترتبط الصورة الذهنية المكونة عن طريق خطبة الجمعة برباط العقيدة فتصبح راسخة.

٤ ـ ويأتي إدراك فعاليات التأثير في العملية الاتصالية ليمثل مؤشرًا على نجاح الاتصال في تحقيق أهدافه. ولنتفهم هذا الأمر نطرح السؤال: لماذا تنجح حملات الترويج للسلع وتفشل حملات التوعية الاجتماعية والسلوكية؟ والإجابة يمكن معرفتها بإدراك التحيز الموجود للنموذج الغربي حيث كل الأشياء تستوي، وقابلة للبيع والشراء وفقًا للمنفعة المادية المسيطرة على هذا النموذج. ومن ثم يتم النقل الحرفي المختل فتحدث هذه النتيجة فيزداد السلوك الاستهلاكي وتفشل حملات التوعية. لأن القيمة في الرؤية العربية تختلف عن السلعة ولا يستويان كالنموذج الغربي، وإدراك هذا الأمر هو الذي يمكن أن يحقق النجاح المنشود. فمثلاً إذا كان الترويج لتنظيم الأُسْرة تحت عنوان: أسرة صغيرة = حياة أفضل. هذا مفهوم في النموذج الغربي لأن الأمر ببساطة يتَرجم إلى أرقام فيظهر الفارق بين الداخل والمنصرف ويدل هذا على مؤشر الحياة الأفضل!

ولكن في الإطار العربي ماذا تعني الحياة الأفضل؟ وخاصة عند البسطاء من الجمهور.. إذا لم أحصل على هذه الحياة الأفضل في الدنيا.. ربما حصلت عليها في الآخرة إذن لا مشكلة.. وتفشل الحملة نتيجة عدم

إدراك هذا الفارق في الإطار الدلالي الذي يسيطر عليه المعتقَد في المجتمع العربي وتسيطر عليه المادة في النموذج الغربي.

حتى إذا سلمنا بهذا المفهوم المادي ـ جدلاً ـ فهو أيضًا في المجتمع العربي عند الجمهور المستهدف يعني.. أولاد أكثر.. يعملون.. يُدرون دخلاً أكبر.. فتتحقق الحياة الأفضل.. (أرأيت).

ولذلك كان إدراك فعاليات التأثير الخاصة بالمجتمع العربي هي صمام الأمان الذي يمكن أن يحقق اتصالاً ناجحًا وفعالاً ويؤثر في توجيه المجتمع وفي عمليات التنمية على اتساع مفهومها.

نبدأ حالاً

إن كنا أجبنا عن السؤال كيف الخروج من دائرة التحيز؟ بوضع بعض العلامات التي على ضوئها يمكن البدء فإن السؤال التالي الذي يطرح نفسه ومتى نبدأ؟

ولنُجيب أيضًا سنحدد بعض العَثرات إذا تخطيناها فإننا نبدأ حالاً.

١ ـ وأول ما يجب تجاوزه هو كثرة البكاء على اللبن المسكوب وأعني بذلك الحديث المتكرر عن التبعية للغرب وهامشية موقعنا وخطط الغرب لإبقائنا في دائرة التبعية والذيْلية له. وكل هذا حقيقي وأكثر منه يحدث ولكن الكلام الذي لا يؤدي إلى فعلٍ خلاّق فائدته محدودة وإذا تخطت حدود الإنذار والتنبيه فإنها تتحول إلى عناصر تثْبيط وقعود وهذا ما نطلب أن نتجاوزه وأن ننظر إلى الواقع العربي ونحاول إخراج النموذج المعرفي الذي يتيح لنا التصدي لكل هذا.

وشيء مثل هذا أيضًا يكمُن في الرؤية الدينية أحادية النظرة.. بمعنى أنه ليس المطلوب من الرسالة الاتصالية أن تتناسب من حيث الشكل فقط مع الإطار الديني للمجتمع العربي ـ فلا تكون هناك نساء عاريات مثلاً ـ ولكن المطلوب أن تكون عملية الاتصال كلها من مرسِل ووسيلة ورسالة ومتلقٍّي ورد فِعْل على الرسالة (رجْع الصدى) كلها متناغمة مع الإطار القيَمي والديني للمجتمع؛ بل ونابعة منه حيث أنه عنصر التشكيل

الأساسي للإطار المعرفي للاتصال في المجتمع العربي. . فلا يكفي الشكل فقط ولا حتى المضمون فقط؛ بل إن العملية كلها لابد لها من مرجعية دينية حاكِمة في آلياتها وفي تجريداتها تتجاوز النظرة الأحادية. وتوسيعها إلى هذه الرؤية التي نطرحها يفتح آفاقًا واسعة للبدء في إطار معرفي جديد ومتميز ومناسب يعمل بكفاءة عالية لتحقيق أهدافه.

٢ ـ الأمر الثاني هو تخلُّص محاولات التنظير العربية من خلل الرؤية. فمن التكرار أن النظرية هي أصلٌ للعلم وقاعدته؛ بل إنه يمكن القول أحيانًا إنه لا عِلم بدون نظرية. فإذا كنا بصدد البحث عن نظرية تحكُم عمل الاتصال الجماهيري في المجتمعات الغربية فيجب إذن أن يكون ميدان البحث هو هذه المجتمعات لا استيراد قوالب جاهزة من المجتمعات الغربية بدعوى أن تجريدات العِلم عامة على كل مكان. فرغم قصور النظرية الغربية ذاتها. . إلا أن هذا الكلام عن عمومية النظرية في مجال العلوم الاجتماعية محل نظر كثير أيضًا. فلكل مجتمع خصوصياته التي تجعل التعميم أمرًا غير ميسور.

بل إن علم الاتصال نفسه لم يظهر إلا إبان الحرب العالمية الثانية عندما دعت ضرورات الواقع لذلك. فلم يكن ظهوره إذن عن إثباتِ لصحة بعض الفروض وصياغة تعميمات تبعًا لذلك بقدر ما كان عن إلحاح متغيرات الواقع في مكان وزمان معينين، وإدراك هذا الأمر يُتيح رؤية أوسع ودراسة حقيقية.

ولتكن التجربة الهندية نموذجًا يُحتذى في ذلك حيث استطاع علماؤها أن يستخرجوا نماذج خاصة بالواقع المجتمعي الهندي تنبع من رؤية معرفية خاصة بهذا الواقع وبدراسات أمبريقية هو حقلها الأول. ولذلك جاءت التجريدات النظرية متميزة واستطاعت الاستقلال عن النموذج الغربي ـ أو على الأقل في سبيل لذلك ـ وتحقيق أهداف المجتمع في مجال العلوم الاجتماعية.

وتجربة أُخرى ربما كانت أقرب معرفيًا لنا هي نموذج الاتصال في

الدولة الفاطمية. صحيحٌ أنَّه لم يضع تجريدات نظرية ولكنه طور نموذجًا لآليات عمل الاتصال يعتمد على الاتصال الجمَعي والاتصال الشخصي واستطاع هذا النموذج بإدراكه لأبعاد المجتمع وفعاليات التأثير في الجمهور أن يحوّل مذهب غالبية الناس من السنة إلى الشيعة ـ وهو مذهب الدولة الفاطمية الرسمي ـ في خلال وقت قصير جدًّا رغم صعوبة تغيير العقائد وليس مجرد تشكيل الآراء والاتجاهات. ولكن النموذج المتميز والملائم لطبيعة المجتمع وبنائه الاجتماعي وفي نفس الوقت يكون من مخرَجات هذا المجتمع نفسه يستطيع التأثير إلى أقصى حد.

٣ ـ بقي التأكيد مرة أُخرى على التميز المعرفي للمجتمع العربي بتكوينه الثقافي المغاير لغيره من المجتمعات. ويستتْبع هذا تجاوز دائرة التحيز لمناهج بحث وطرق وأدوات بعينها باعتبارها هي الأصلح والأكثر مصداقية وثباتًا في النتائج.

ومن أشهر المناهج التي تزكّى على هذا النحو. المنهج التجريبي مع أنه ليس المنهج الوحيد لإثبات صحة الفروض وإدراك العلاقات السببية، فهناك أيضًا المنهج التاريخي. وبالطبع لا ننكر فوائد دراسات التجريب ولكن اعتبارها وحدها صاحبة المصداقية الأعلى تحيّزٌ ننكره لأن هذه الدراسات بها قدر من التعسف قد يُلغي هذه المصداقية أو يقلل من قيمتها. فالمجتمع ليس معملاً للتجارب يمكن تثبيت جميع المتغيرات فيه سوى واحد.. والظاهرة الاجتماعية تتميز بديناميتها كما أنها تختلف شكلاً وموضوعًا عن الظاهرة في العلوم الطبيعية، والظاهرة في مجال الاتصال أكثر تميزًا وارتباطًا بالمجال الاتصالي كله، ومن ثَم يصبح فرض منهج بعينه أمرًا مضللاً ومباعدًا بيننا وبين الرؤية الصحيحة للواقع.

كذلك استخدام طرق بعينها كطريقة تحليل المضمون التي تنتشر بشكل مبالغ فيه في دراسات الاتصال ـ ربما استسهالاً في كثير من الأحوال ـ مع أن عيوبها وتعسفها في استخلاص النتائج في كثير من الأحوال تكون أكبر مِنْ محاسنها، فأنت تستطيع إثبات أن ستالين كان أعدل الحكام على الإطلاق باستخدام تحليل المضمون لخطبه وإحصاء كلمة

العدل ومرادِفاتها في هذه الخطب!

كذلك أيضًا استخدام أدوات في جمع البيانات مثل الاستبيان على ما فيه من جمود وتعسف في تقسيم المتغيرات بطريقة جامدة قد لا يفهمها المبحوث فيجيب إجابات غامضة أو غير حقيقية. . إلى آخر هذه المحاذير والقوالب المتحيزة التي ينبغي علينا تجاوزها أو على الأقل تطويرها لتتناسب مع طبيعة المجتمع العربي.

وهذه المحاذير المنهجية كان من الضروري إثارتها باعتبار أن مناهج البحث غير المتحيزة هي العصب الرئيسي في استخلاص نموذج معرفي للاتصال العربي.

لم يبق الآن سوى أن نبدأ في الخروج!!

فهل نفعل؟؟

* * *